مجلة رفوف ISSN: 2335-1381
المجلد: السادس العدد: الثاني السنة: ديسمبر 2018

بيان أسس المنهجية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية

عماني براهيم, جامعة أدرار
- البريد الإلكتروني: brahimamanidz@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/03/22	تاريخ القبول:2018/12/04	تاريخ النشر:2018/12/26

الملخص :

عنوان هذه الدراسة: أسس المنهجية من خلال القرآن والسنة، وترتكز على استخراج النصوص الشرعية التي يكون لها علاقة بمنهج البحث العلمي السائد اليوم من مظانها، وبعد استخراج هذه النصوص يتم إدراجها تحت أساس من أسس المنهجية المذكورة في البحث؛ مع بيان وجه دخول هذه النصوص تحت ذلك الأساس استنباطا مني واستعانة بكلام أهل العلم في تلميحاتهم وإشاراتهم، وعدد أسس المنهجية المدرجة في هذا البحث: ثلاثة أسس؛ أولها: جمع المعلومات، وثانيها: توثيق المعلومات، وثالثها: الموضوعية، وكان لكل أساس من هذه الأسس مبحث خاص به؛ حوى مطلبين، مطلبين أو ثلاثة، ثم إني توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدد من النتائج إليك عدها:

1/ المساهمة الفعالة والنوعية لنصوص الكتاب والسنة في تنمية منهجية البحث العلمي.

2/ تنوع نصوص الكتاب والسنة وشمولها لأهم أسس المنهجية المتعارف عليها اليوم.

3/ كثرة نصوص الكتاب والسنة التي تصب في ميدان البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: المنهجية ; القرآن الكريم; السنة النبوية.

المنارة للاستشارات

Astract:

The title of this study: a statement of the foundations of the methodology through the Holy Quran and Sunnah. It is based on extracting the legal texts that have to do with the method of scientific research prevailing today.After the extraction of these texts they had been included under the bases of the methodology; the first of these is the collection of information, then data documenting, and finally the objectivity. Through this research,theresearcherreaches a number of results:

1 / Effective contribution of the texts of the Quran and Sunnah in the development of scientific research methodology.

2 / the diversity of the texts of the Quran and Sunnah and their comprehension to the most important foundations of the methodology that is common today.

3 / the increase of the number of the texts of Quran and Sunnah that are applied in the field of scientific research.

المقدمـــــــة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن المتأمل في الأوساط العلمية على اختلاف مشاربها وتعدد مجالاتها، ليدرك الإدراك الذي لا يتلجلج؛ أن عامة المثقفين في بلاد الإسلام يعتقدون أن مناهج البحث العلمي التي يقوم عليها أي عمل علمي اليوم؛ إنما كان السباق لها والقاطف لألذ ثمارها هم الغربيون؛ الذين نهضوا بهذه العلوم

المنارة للاستشارات

التي نراها اليوم وصاغوها للناس صوغ المبتكر الذي قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ القصص: ٧٨، أو الذي قال: "**ورثته كابرا عن كابر**".

ويشتد العجب ويظهر الكرب إذا علمت أن جل مقروءات مثقفي المسلمين في باب منهجية البحث إنما هي مقروءات لمنشورات غربية؛ مترجمة أو غير مترجمة، فهؤلاء مع الأسف تهفوا أنفسهم إلى كل قبيح وجهه حسن، إذ استسمنوا ذا ورم ونفخوا في غير ضرم، لأن القول بأن الغربيين هم السباقون لهذا كذب مصفى لا يشوبه ذَرْو من الصدق، وإنما انخدع بذلك من انخدع لكثرة الطرق الواقع على رؤوسهم، فإن كثرة الطرق توهن الحجر كما يقولون، فساد الضلال والتضليل في هذا الجانب، حتى أصبح ركاما من الأضاليل.

ولا يمكن أن ينساح هذا الركام إلا بكتائب من الأدلة والبراهين الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، بحيث تنقض هذه البراهينُ قولهم من أسّه حتى تواريه في رمسه، ذلك لأن الحق الذي يجب اعتقاده والسعي لتبليغه ونشره؛ هو أن الإسلام وأهله هم الذين كان لهم قصب السبق في هذا المجال، وقد وصلت منهجية البحث عندهم إلى الغاية في الدقة والتطور.

ميدان البحث: وقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية الإشارات العديدة والإفادات السديدة في هذا الباب، فعليها ارتكز المسلمون وفي حضنها كانوا يستدفئون، وتطور عندهم ذلك حتى ناطح سقف الغاية، وأصبح للناس بعدهم هداية.

إشكالية البحث: فإذا تقرر المذكور وبان المسطور، فإني ذاكر بعون الله تعالى في هذه الأوراق بالبراهين سبق كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم للعناية بمنهجية البحث العلمي، مستفتحا بالإشكال الآتي: ما مدى صحة سبق

المنارة للاستشارات

الوحيين للإشارة إلى أسس منهجية البحث العلمي، وما هي البراهين الدالة على ذلك؟

عنوان البحث: ووفق ما تقدم يمكن أن أستشف عنوانا لهذه الدراسة يكون دالا على ما حوته، ومفصحا عما تضمنته، ولعله يكون كالآتي: **بيان أسس المنهجية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.**

أسباب اختيار الموضوع: وكان لاختياري هذا الموضوع عدة أسباب أذكر منها:

1/ كثرة اعتداد مثقفي المسلمين بالمناهج الغربية.

2/ تبني الغربيين لمناهج البحث العلمي على أساس أنهم هم أول من ابتكرها.

3/ عدم اطلاعي على دراسة سابقة أعطت هذا الموضوع حقه من البحث.

أهداف الموضوع: وأصبو من خلال هذا البحث لتحصيل عدد من الأهداف إليك عدها:

1/ الخروج بطرح واضح يبين الأثر البالغ لنصوص الكتاب والسنة في تطوير منهجية البحث العلمي.

2/ المساهمة في رفع الستار الذي وضعه الغربيون على أذهان المثقفين في هذه المسألة.

3/ الوقوف على النصوص الشرعية التي لها علاقة مباشرة بمنهج البحث العلمي.

المنارة للاستشارات

منهج البحث: يعد المنهج التحليلي هو الملائم لمثل هذه الموضوعات فهو إذن المنهج المعتمد في هذا البحث.

المصادر المعتمدة في هذا البحث: وبحمد الله تعالى تمكنت في هذا البحث من الوقوف على عدد من المصادر؛ أولها وأولاها كتاب الله، ويليه كتب السنة الستة، وعدد من الكتب المسندة غير الستة، فضلا عن بعض التفاسير وبعض شروح الحديث، كما وقفت على عدد معتبر من كتب مناهج البحث العلمي، والحمد لله على التمام.

الدراسات السابقة: أما عن الدراسات السابقة: فتوجد العديد من الدراسات التي بحثت موضوع الإسلام والبحث العلمي، وبينت هذه الدراسات أثر العلماء المسلمين في تطوير منهجية البحث، وهذه الدراسات –كما يُلاحِظُ من وقف عليها– خارجة عن موضوع بحثي، لأن بحثي قاصر على نصوص الكتاب والسنة، وهذه الدراسات لم تطرق هذه الجزئية، فلذا لا أعدها دراسات سابقة لموضوعي.

خطة البحث: وقد اقتضى البحث في هذا الموضوع فَرْق خطته إلى أربعة مباحث على غرار المقدمة والخاتمة، هذا إجمالا، أما تفصيلا فهي على النحو الآتي : استفتحت بحثي بالمقدمة: وتضمنت عناصرها المعروفة.

ثم عقبت المقدمة بالمبحث الأول: وعنوانه: مفهوم منهجية البحث العلمي والتعريف بأسسها، وفيه مطلبان:

أولهما: مفهوم منهجية البحث العلمي، وثانيهما: أسس منهجية البحث العلمي.

المنارة للاستشارات

أما المبحث الثاني فكان بعنوان: جمع المعلومات من خلال الوحيين، وقد حوى مطلبين:

أولهما: بيان الوحيين لمكانة العلم والحض على جمعه،وثانيهما: إشارات الوحيين إلى جمع المعلومات.

وكان المبحث الثالث بعنوان: توثيق المعلومات من خلال إشارات الوحيين، وتضمن مطلبين:

أولهما: دعوة الوحيين إلى التثبت، وثانيهما: نسبة الأقوال إلى قائليها من خلال الوحيين.

وختمت البحث بالمبحث الرابع وعنونته ب: الموضوعية من خلال إشارات الوحيين، وتضمن ثلاثة مطالب:

أولها: حث الوحيين على اتباع الدليل، وثانيها: العدل في التعامل مع الآراء ومع أصحابها.

وثالثها: حث الوحيين على التجرد وعدم التعصب.

المبحث الأول: مفهوم منهجية البحث العلمي والتعريف بأسسها.

يستدعي منا هذا البحث قبل الولوج في تفاصيله التعريف بمنهجية البحث العلمي باعتبار مفرديها، والتعريف بها باعتبارها علما لهذا العلم، ويستدعي أيضا بيان أسسها التي تقوم عليها، ويكون هذا في مطلبين: أولهما بعنوان: مفهوم منهجية البحث العلمي، وثانيهما: أسس منهجية البحث.

المنارة للاستشارات

المطلب الأول: مفهوم منهجية البحث العلمي.

ينبغي لنا إذا أردنا تعريف الأسماء المركبة أن نعرّف كل لفظ لوحده أي: نعرفه باعتبار أفراده فإذا فرغنا من ذلك عرفناه باعتباره علما لهذا الفن فأقول: حوى هذا التركيب ثلاث كلمات أولها: المنهجية، وثانيها: البحث، وثالثها: العلم.

1/ تعريف المركب باعتبار مفرداته:

أولا: تعريف المنهجية: 1/ لغة: مأخوذة من نهج: تقول: طريق نهج وطرق نهجة، وقد نهج الأمر وأنهج، لغتان: إذا وضح، ومنهج الطريق: وضحه، والمنهاج: الطريق الواضح[1]، فحاصل معناها في لغة العرب أنها الطريق الواضح.

2/ اصطلاحا: هي "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[2].

ثانيا: تعريف البحث: 1/ لغة: قال ابن فارس: "الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدل على إثارة الشيء. قال الخليل: البحث طلبك شيئا في التراب. والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر. تقول استبحث عن هذا الأمر، وأنا أستبحث عنه. وبحثت عن فلان بحثا، وأنا أبحث عنه"[3]. فنخلص من هذا إلى أن البحث معناه لغة: التفتيش والتفحص.

[1] تهذيب اللغة، محمد الأزهري، (ج6/ص41).
[2] البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، (ص129).
[3] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (ج1/ص204).

المنارة للاستشارات

2/اصطلاحا: جاء في التعريفات بيانه بقوله: "هو إثبات النسبة الإيجابية، أو السلبية، بين الشيئين، بطريق الاستدلال"[1].

ثالثا: تعريف العلم:

تعريفه لغة: هو"نقيض الجهل،وتعلمت الشيء: أخذته، وتعلمت، أي: علمت"[2].

تعريفه: اصطلاحا: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[3].

2/ تعريف المركب باعتباره علما لهذا الفن:

فمنهجية البحث العلمي: "هي طريقة لجمع المعلومات وترتيبها وتنظيمها للوصول إلى الحقيقة في موضوع ما، بمراعاة الأصول الكلية والمسائل المندرجة تحتها"[4].

المطلب الثاني: أسس منهجية البحث العلمي.

الذي تكاد تجتمع عليه كلمة المؤلفين في مناهج البحث العلمي؛ أن الأسس التي تلتقي فيها جميع المناهج على اختلافها وتعددها ثلاثة أسس: أولها: جمع المعلومات المتعلقة بالبحث، وثانيها: توثيق هذه المعلومات بمعايير التوثيق المعتبرة، وثالثها: الموضوعية في البحث، وسأتطرق في هذا المطلب بعون الله عز وجل إلى كل أساس منها بالبيان والتوضيح.

[1] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ص42).
[2] مجمل اللغة، أحمد بن فارس، (ص624).
[3] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (ص155).
[4] منهج البحث العلمي وكتابته في علوم الشريعة، محمد بازمول، (ص9).

المنارة للاستشارات

أولا: جمع المعلومات: يعتمد الباحث اعتمادا ركيزا على جمع المادة العلمية واستيفائها، حتى يتسنى له الخروج بفكرة جديدة غفل عنها من قبله، أو تطويرها إن كانت مذكورة من قبل، فلا يمكن للباحث أن يعرف أنه ابتكر شيئا جديدا إذا لم يطلع على ما كتبه من قبله، ولا أن يطور شيئا لا يعرف المحطة التي توقف عندها من سبقه، ولهذا لابد من تحديد مصادر بحثه ومراجعه، وذلك إما أن يتم عبر معرفة مسبقة من الباحث بها من خلال التخصص العلمي، وإما ألا يكون الباحث متخصصا في موضوع البحث؛ فيحتاج إلى أن يسترشد بآراء المختصين في تحديد هذه المصادر والقراءةِ الموسعة في موضوع البحث حتى يصل إلى تعيين جملة من المصادر الأولية للبحث[1].

ثانيا: توثيق المعلومات[2]: البحث العلمي يعتمد اعتمادًا كليًّا على المصادر التي استخدمها الباحث في إنجاز عمله العلمي، فالواجب يقتضي الاعتراف لمؤلفيها بذكر أسمائهم إلى جانب جهودهم، وهذا الاعتراف يبرز في صورتين:

الأولى: الاعتراف العام: ومظهره قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة، **الثانية:** الاعتراف الخاص: وذلك لدى نسبة النص، أو الفكرة المقتبسة إلى مصدرها خلال كتابة البحث، وإذا كانت نسبة النص أو الفكرة أو الطريقة إلى صاحبها تعني اعترافًا وتقديرًا لجهوده العلمية، فهي ظاهرة توحي بالثقة فيما ينقله الباحث، صحة في الرواية، وتدقيقًا في النقل.

ويكون توثيق المعلومات، إما في صلب المتن مباشرة أو في هامش الصفحة، أما طرقه وتفاصيل هذا التهميش فمختلفة لا أرى الإطالة بها لكونها ليست من صلب بحثي.

[1] ينظر: المصدر نفسه، (ص102).
[2] ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم، (ص131).

المنارة للاستشارات

ثالثا: الموضوعية[1]: ويقصد بها الباحثون جانبين مهمين؛ **هما:**

1/ حصر الدراسة، وتكثيف الجُهْد في إطار موضوع البحث، بعيدًا عن الاستطراد، والخروج عن موضوع البحث إلى نقاط جانبية هامشية، مما يسبب تشتيت أفكار القارئ، وهو من قبل هذا جُهْد يأتي على حساب الموضوع الرئيس، فيؤثر على مستواه، في حين أن المفروض الاحتفاظ للبحث بكل مجهود ومساحة على صفحاته.

2/ تجرد الأفكار والأحكام من النزعات الشخصية، وعدم التحيز مسبقًا لأفكار، أو أشخاص معينين، فالهدف الأول والأخير من البحث هو التوصل إلى الحقيقة كما هي، مؤيدة بالأدلة والشواهد، بعيدة عن المؤثرات الشخصية والخارجية، التي من شأنها أن تغير الموازين.

ولا شك أن الجانب الثاني هو الأهم، بل لا تكاد تطلق الموضوعية إلا انصبت على هذا الجانب، ولهذا اقتصرت عليه في هذا البحث.

المبحث الثاني: جمع المعلومات من خلال الوحيين.

إن المتقرر في الأذهان السليمة أن أي إنسان كائنا من كان؛ لابد له قبل أن يشرع في جمع الشيء الذي يريد جمعه؛ أن يستقر في خاطره ماهية هذا المجموع وقيمته، فلا يتجاسر على جمع ما لا يقع إدراكه عليه؛ ولا استقرت معرفته له، كما لا يتحمس إلى جمع فتات لا قيمة له، ففطر الناس متواطئة على هذا لا يشذ عنهم إلا من ليس منهم، فإذن من أراد جمع العلم لا بد أن يعرف ماهيته وحدوده، ويعرف قيمته وفضله، وإلا جنى على نفسه وعلى العلم،

[1] ينظر: المصدر نفسه، (ص27-28).

المنارة للاستشارات

فلذا تظافرت نصوص الوحيين في بيان قيمة العلم وفضله وفضل أهله بشتى أنواع البيان، وسأعقد مطلبا–وهو الأول– تحت هذا المبحث بعنوان: بيان الوحيين لمكانة العلم والحض على جمعه، وسأثني هذا المطلب بآخر أذكر فيه نماذج من الوحيين على جمع المعلومات والحض عليه.

المطلب الأول: بيان الوحيين لمكانة العلم والحض على جمعه.

لا يخفى على من مارس شيئا من العلم أن أسَّ البحث العلمي وقطب رحاه هو حب العلم، لأن ما من شيء يفعله الإنسان على هذه البسيطة لا يمكن أن يبلغ الحظ الأوفى منه إلا بالحب له، ذلك لأن توقد مشاعر المرء حبا لشيء ما وامتزاج ذلك المحبوب بحبات قلبه؛ كفيل باستنهاض همته وعقله وجميع محسوساته لتحصيل محبوبه، فأفعالنا جميعُها مبنية على المحبة قال ابن القيم في **نونيته**[1]: **حكم الْمحبَّة ثَابت الْأَركان ... ما للصدود بفسخ ذَاك يدان.**

فإذا بان أن من أساسيات البحث العلمي حب العلم؛ فلننطلق إلى نصوص الوحيين لننظر فيما حوته من معان تحبّب العلم للناس وترغبهم فيه؛ وبعد التأمل يعلم أن هذه النصوص من الكثرة بمكان فالذي في القرآن وحده يقارب ثمانمائة نص[2] يحض على العلم؛ على غرار نصوص السنة الوفيرة، وتحتمل هذه النصوص القسمة إلى ثلاثة أقسام فيما يلي ذكرها:

[1] الكافية الشافية، ابن القيم، (ص5).

[2] الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، يوسف يعقوب السلطان، (ص14).

المنارة للاستشارات

1/ أول الوحي الحث على طلب العلم: يكفينا والله بيانا لعظم تحريض ديننا على العلم وحثه على تحصيله؛ أن أول المنزل من القرآن الكريم فيه الحث على القراءة والتعلم، قال الله تعالى **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ العلق: ١ – ٥، فانظر رعاك الله متأملا تعظيم ربنا جل جلاله للعلم وإشادته به، وأخبرني بربك هل رأيت دينا أو شرعا أو منهجا أولى العلمَ كل هذه العناية ؟.

قال ابن القيم: "إن أول سورة أنزلها الله في كتابه: سورة القلم فذكر فيها ما منّ به على الإنسان من تعليمه ما لم يعلم، فذكر فيها فضله بتعليمه وتفضيله الإنسان بما علمه إياه وذلك يدل على شرف التعليم والعلم"[1].

2/ أهل العلم أفضل الناس: إن الأفضلية لا تأتي لأي أحد من الخليقة إلا إذا عظم عطاؤه وبذله؛ حتى يصبح غيره مدينا له بأعمال عظيمة وأشياء جسيمة، تفنى أنفاس المدينين ونفوسهم ولا يستطيعون رد ما على عاتقهم من دين ولا يكادون، ولم يحظ أي صنف من الصنف البشري بهذا الوصف المذكور على التمام والكمال كما حظي به أهل العلم.

فطوبى لهم هذا الفضل وليهنهم تفضيل رب العالمين جل جلاله لهم على غيرهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ المجادلة: ١١، وقال تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾ الزمر: ٩، وقال جل جلاله:

[1] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، (ج1/ص58).

المنارة للاستشارات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

كما جاء في نصوص السنة عدد من الأحاديث يبين فضل أهل العلم وامتيازهم على من عداهم،فمن ذلك: حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"... وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"[1].

3/ العلم أفضل ما يشتغل به: فلا يعرف قيمة الدنيا والآخرة على الحقيقة إلا أهل العلم، فهم يعملون في دنياهم لأخراهم شعارهم قوله تعالى:**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص: ٧٧، **ومن الأدلة على المعنون له:** قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤، قال القرطبي: "فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه؛ كما أمر أن يستزيده من العلم"[2].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "...ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللَّه له طريقاً إلى الجنة"[3]، وقال صلى الله عليه وسلم:"الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللَّه تعالى وما والاه، وعالماً أو متعلماً"[4].

[1] جامع الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم: (2682)، (ج4/ص346).
[2] الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (ج4/ص42).
[3] صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم: (2699)، (ج4/ص2074).
4 جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب 13 ما جاء في هوان الدنيا على الله عز و جل، برقم: (2322)، (ج4/ص561).

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: إشارات الوحيين إلى جمع المعلومات.

يعد جمع المعلومات المتعلقة بالبحث واستيفاؤها من أهم ركائز المنهجية العلمية، لأن البحث الذي لم يستوف فيه صاحبه جميع ما يتعلق به من معلومات لا يعدو أن يكون ظنيا،**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ النجم: ٢٨، وقد جاءت الإشارة إلى جمع المعلومات في كلام رب العالمين وفي سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، **فمن الأول قوله جل جلاله: قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴿٤٦﴾ ﴾ سبأ: ٤٦.

ووجه كون الآية دالة على ما ذكرت: أنه جل جلاله حث المشركين المنكرين نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يتفكروا في أمره مجتمعين ومتفرقين، ثم يخرجوا بنتيجة فاصلة:أهو مجنون أم رسول من عند الله؟ ولا وجه لقوله تعالى "مثنى" إلا أنهم يجمعون ما عندهم من معلومات حوله، ثم يحكموا بعد هذا الجمع، فتكون النتيجة بعد ذلك قطعية، قال ابن الجوزي في معنى الآية: "ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده، وليخل بغيره، وليناظر، وليستشر، فيستدل بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على اتّباعه، وليقل الرجل لصاحبه: هلم فلنتصادق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط، أو جربنا عليه كذبا قط"[1].

ويدخل تحت هذا أيضا: الآيات التي تحث على السير في الأرض والنظر في الكون لمعرفة أنه لا إله له إلا الله سبحانه وتعالى، ففيها الحض على البحث وعلى استجماع المعلومات التي هنا وهناك للوصول إلى علم اليقين بهذه الحقيقة؛

[1] زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، (ج503/3).

المنارة للاستشارات

قال جل جلاله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٠، وقال سبحانه: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس: ١٠١.

ومن الثاني: ما رواه أبو داود بإسناده إلى ثابت بن الضحاك قال: "نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببُوانَة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟" قالوا: لا، قال: "هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟" قالوا: لا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم"[1].

ففي هذا الحديث يظهر جمع النبي صلى الله عليه وسلم للمعلومات التي تعينه على إصدار الحكم في القضية التي سئل عنها، فسأل أولا عن وجود الوثن لأنه لو نحر عنده لظن أنه يتقرب إليه، ثم سأل ثانيا عن وجود العيد الجاهلي لكيلا يتخيل الناس أنه يشارك المشركين في أعيادهم، وهذا كله سدا لذريعة الإشراك بالله تعالى، فلما استجمع صلى الله عليه وسلم هذه المعلومات التي يطلبها المقام أفتى بمقتضى تلك المعلومات التي تحصل عليها.

المبحث الثالث: توثيق المعلومات من خلال إشارات الوحيين.

إن الراسخين في العلم العارفين به وبأبعاده وأغواره لا يستنكفون البتة من نسبة القول لقائله، ولا من عزو الفائدة إلى مفيدها، لأن ذلك من شكر العلم، ومن شكر المنعِم جل جلاله، ومن إنزال النفس منزلتها، فإن المتشبع بما لم يعط

[1] سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء عن النذر، برقم: (3313)، (ج2/ص257).

المنارة للاستشارات

كلابس ثوبي زور، وليُعلم أن وصول الباحث إلى الدرجة العالية من الأمانة العلمية لا يمكن إلا إذا كان لابسا ثياب التثبت والتبين، وفي هذا المبحث سأعقد مطلبين أبين فيهما تجليات من الوحيين لمبدأ التوثيق والأمانة،وأول هذين المطلبين عنوانه: دعوة الوحيين إلى التثبت، وثانيهما عنوانه: نسبة الأقوال إلى قائليها من خلال الوحيين.

المطلب الأول: دعوة الوحيين إلى التثبت.

مما لا يخفى على طبقات المثقفين؛ أن الباحث لا يمكن أن يجلس على عرش المُكنة العلمية ولا أن يصعد إلى قمر الرسوخ الفكري إلا بأن يكون التثبت سجية له لا تفارقه مهما عصفت بأفكاره العواصف، أو اضطرته لطرحه المخاوف، فلا مكان للعري عن التّبيُّن في حلبة العلم، وذلك لأن العلم هو "كل بحث عن الحقيقة"[1]، فلما كان العلم إنما هو: بحث عن الحقيقة، والحقيقة لا يمكن أن تقوم على ساق إلا بالتثبت والتبيّن، تلَخَّص أن التثبت ركن ركين في بناء الصرح العلمي، فإذا وضح هذا؛ فإن للوحيين القِدح المُعلّى في ترسيخ هذا المبدأ بشتى المعاني وأوضح المباني، **ولنبدأ بالقرآن الكريم**؛ فأقول: تتلخص هذه المعاني في نقاط إليك عدّها:

1/ نهي القرآن الكريم عن اطراح التثبت: حذّر الله تعالى عباده وأنذرهم من ولوج الأمور دون تريث أو تثبت، وذلك منه جل جلاله حماية لخلقه من غوائل العجلة التي لا تحمد عقباها، فقال سبحانه وتعالى **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ " **ومعنى الآية:** النهي عن أن يقول الإنسان ما لا

[1] البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، (ص23).

المنارة للاستشارات

يعلم أو يعمل بما لا علم له به"[1]، قال قتادة بن دعامة: "لا تقل سمعت، ولم تسمع ولا تقل: رأيت، ولم تر، فإن الله سائلك عن ذلك كله"[2].

2/ تشنيع القرآن الكريم على المتبعين للظن: لقد عتب الله تعالى في كتابه على أقوام جعلوا الظنون والأوهام مصدر معلوماتهم ومنبع استدلالاتهم، حتى عارضوا بها قطعيَّ العلم ونسبوا معارضهم إلى الوهم، وكما قالوا قديما: "رمتني بدائها وانسلت"[3]، لذلك بين جل وعلا سوء هذا النّهج ومطبَّته وأنه سلاح الذين لا يعلمون؛ فقال جل جلاله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔاۚ ﴿٣٦﴾ ﴾ يونس: ٣٦، ثم خاطب عز وجل عباده وحثهم على اجتناب السّيّء من الظنون لما فيه من الفساد والإثم؛ فقال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢، **فهذه الآية** هي حصن حصين وتقويم متين لسلوك الإنسان العلميّ والعمليّ، فما أفلح من لم يرها سلوكا حضاريا واتخذها وراءه ظهريا.

3/ الدعوة الصريحة إلى التثبت في الأخبار: ومما يزيد المتأمل لكلام الله تعالى تبصرا بالدعوة الربانية للتثبت قوله جل جلاله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات: ٦، **فهذا أمر** من لدن حكيم خبير وتوجيه من السميع البصير لعباده المؤمنين بعدم قبول الأخبار هكذا على عواهنها دون تمحيص أو اختبار، وعلل سبحانه ذلك بكونه يؤدي إلى ظلم الناس والطغيان عليهم، وكم يرى

[1] فتح القدير ،محمد بن علي الشوكاني، (ج269/3).
[2] تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (ج7/ص2331).
[3] الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، (ص73).

المنارة للاستشارات

المسلمون في واقعهم من أمور يندى لها الجبين وينقبض بسببها الصدر ويخمد لها الفكر فزعا كان الداعي لحصولها إقصاء التمثل بهذه الآية وسميَّاتها.

وللسنة النبوية أيضا حظ وفير في تجلية معاني التثبت جاءت على مناح مختلفة إليك سردها:

المنحى الأول: الأمر باجتناب الظن: حضّ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه والأمة من بعدهم على اجتناب الظنون والتوهمات التي هي بعيدة أو مباينة للحقيقة والصدق، لأن ضررها عظيم وخطرها جسيم فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"[1]، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن عدم التّبين مآله الخسران العظيم وعاقبته العذاب المستديم فقال:"إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق"[2].

المنحى الثاني: النهي عن كثرة الكلام ووجوب تمحيص المسموع: عاب المعصوم صلى الله عليه وسلم على أناس كثرةَ كلامهم مع عدم تحريهم فيما يخرج من أفواههم، لأن الحكماء قالوا: قلَّما سلم مكثار أو أُقيل له عثار، والمقصود بالكثرة هنا ترديد الإنسان كل ما ينطق به الناس دون تمحيص، فلذا جاءت الكلمات الزكيات منه صلى الله عليه وسلم تندّد بترك هذه الفِعال وتنفر من هاتيك الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع"[3]، وقال:"بئس مطية الرجل زعموا"[4]، وقال:"إن الله كره لكم قيل وقال"[5]،

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أويدع، برقم: (4849)، (ج5/ص1976).

[2] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، برقم: (6112)، (ج5/ص2377).

[3] صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، برقم: (5)، (ج1/ص10).

[4] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قول الرجل "زعموا"، برقم: (4972)، (ج2/ص712).

[5] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: "لا يسألون الناس إلحافا" البقرة ٢٧٣ وكم الغنى، برقم: (1407)، (ج2/ص537).

المنارة للاستشارات

قال ابن كثير شارحا الحديث الأخير: "أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر".

المنحى الثالث: التحذير من السماع للكذابين أو الرواية عنهم: بعد تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لخلق التثبت في نفوس الصحابة علما، أراد ترسيخ هذا المبدأ العظيم وتوغيله في فِعالهم وقَالهم عملا، فأخبرهم بأنه سيظهر بعده قوم لا خلاق لهم؛ لم يروا على هذه البسيطة شخصا يكذبون عليه ويحرفون كلامه ويزورون حقائقه؛ إلا نبينا المعصوم صلى الله عليه وسلم، فاجتهدوا غاية الاجتهاد في الإتيان بالأكاذيب والأراجيف التي لا تمت إلى الدين ولا إلى المكارم الإنسانية بصلة.

فبسبب هذا الباطل الذي هم عليه؛ جاءت الأخبار النبوية بالتنفير منهم ومن الرواية عنهم فمن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم"[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنوكم"[2]. **ففي هذين الحديثين** اجتمعت المعجزة النبوية –بظهور الكذابين بعده صلى الله عليه وسلم– والنصيحة المحمدية –بالأمر بالتحري والتبين والتثبت وعدم الإذعان لهؤلاء الدجالين الكذابين–، فما أعظمها من معجزة وما أغلاها من نصيحة، حوتها هذه الأحاديث الصحيحة.

[1] صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، برقم: (6)، (ج1/ص12).
[2] صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، برقم: (7)، (ج1/ص12).

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: نسبة الأقوال إلى قائليها من خلال الوحيين.

إن الملاحظ لآي القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ليجد بكثرة وبجلاء العديد من الأقوال المنسوبة إلى قائليها دون أي تمويه أو تزوير، وفي هذا تطبيق عملي لمنهج التوثيق الذي ينادَى به في الأوساط العلمية، وفيما يلي ذكر عدد من الأمثلة من القرآن والسنة، **فمن القرآن:** قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣، وقال سبحانه: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤، وقال جل جلاله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة: ٣٠.

ومن السنة النبوية: حديث فاطمة بنت قيس عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جمعهم يوما فقال: " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ..."[1]، ثم ساق صلى الله عليه وسلم قصة تميم وأصحابه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[2]، والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

[1] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، برقم: (2942)، (ج4/ص2261).
[2] صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية، برقم: (3628)، (ج3/ص1395).

المنارة للاستشارات

المبحث الرابع: الموضوعية من خلال إشارات الوحيين.

يقصد بالموضوعية في إطار البحث العلمي: "تجرد الأفكار والأحكام من النزعات الشخصية، وعدم التحيز مسبقًا لأفكار، أو أشخاص معينين..."[1]، ولا شك أن كل إخلال بمبدأ الموضوعية سوف يعود بالضرر الكبير على البحث العلمي، والمتأمل لنصوص الكتاب والسنة يجد مبدأ الموضوعية واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار؛ من جهة التنظير ومن جهة التطبيق، وفي هذا المبحث سنرى بجلاء حرص الوحيين على ترسيخ مبدأ الموضوعية في ذهن من ألقى السمع وهو شهيد، وسيكون عرض ذلك على ثلاثة مطالب: أولها:حث الوحيين على اتباع الدليل، وثانيها: حث الوحيين على العدل في التعامل مع الآراء ومع أصحابها، وثالثها:حث الوحيين على التجرد وعدم التعصب.

المطلب الأول: حث الوحيين على اتباع الدليل.

إن ساحة البحث العلمي ميدان فسيح تصطرع فيه العقول وتتجاذب فيه الآراء، وفي حومته تتصادم الأفكار بالرفق مرة وبالعنف مرات، ولا يُستطاع رفعُ هذا الصراع إلا بإلجام كل من نبس من المتخاصمين بحرف بلجام الدليل والبرهان على ما فاه به لسانه، أو على ما خطّه يراعه، وهذا مما تتفق عليه كلمة عموم المثقفين والباحثين تقريرا؛ وإن كان يتخلف تطبيقا تخلفا عظيما، وهم في ذا التخلف بين مستقل ومستكثر، ولا يخفاك أن القرآن الكريم قبلُ قد جلى مبدأ البرهنة ووضح، وبينه أتم البيان وصرح، فالسبق لكتاب ربنا وإن كانت الحظوة اليوم للمناهج الغربية، فهذا لا يغير من الحقيقة شيئا، وإنما يغيبها أياما وأياما ثم في الأخير لا بد أن يستبين الحق وتظهر الحجة وتُعرف المحجة.

[1] كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم، (ص27).

المنارة للاستشارات

فالله جل جلاله جلّى هذا المبدأ بتجليات مختلفات، ضمن موضوعات متفرقات، فصرح بطلب البرهان ممن خالفوا سنن الهدى بلفظ "البرهان" في أربعة مواضع بدأً بالبقرة وتثنية بالأنبياء وتثليثا بالنمل وخَتْما بالقصص؛ وفي كلها يقول: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة: ١١١، الأنبياء: ٢٤، النمل:٦٤، القصص: ٧٥، كما طالب جل وعلا الخصوم بالإتيان بالعلم الصحيح على دعاويهم؛ فقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٨، وقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ الأحقاف: ٤.

وطالبهم جل جلاله أيضا بالإتيان بالحجة بلفظ "**السلطان**" فقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الصافات: ١٥٦ – ١٥٧، وقال جل جلاله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يونس: ٦٨

هذا بالنسبة للقرآن الكريم، **أما السنة** فقد جاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم: "لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر"[1]، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: "**البينة على المدعي**": تصريح باتباع الأدلة والبراهين وعدم أخذ الأمور تقليدا للآباء أو تمسكا بالعادات، قال ابن القيم: "البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق

[1] السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الدعوى والبينات، باب البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه، برقم: (20990)، (ج10/ص252).

المنارة للاستشارات

فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء، حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين"[1].

المطلب الثاني: العدل في التعامل مع الآراء ومع أصحابها

إن المعلومَ الذي لا يُنكر والحق الذي لا يُكفر؛ قيامُ الخلق الماثل بين عينيك؛ مما لم تر أو رأيت؛ على ميزان القسط والعدل، إذ قد أخذ باريه جل جلاله على نفسه المقدسة ألّا يظلم أحدا وألا يجور أبدا؛ فقال في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي"[2]، وقال سبحانه مرسّخا لهذا المذكور ومبينا له: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧، فلما عرّف جل جلاله عباده بأن صفتَه العدلُ؛ ونعتَه القيامُ بالقسط؛ أمرهم سبحانه بأن يكون ذلك خلقا لهم يستصحبونه في كل تصرفاتهم، فحضّهم عليه في آيات عديدات من كتابه، كما جاء تطبيقه في آيات أخر، وجرى العمل به في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي عرض تفصيليّ لهذا الإجمال: ولنبدأ أولا بآيات القرآن الكريم: قال تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨، وقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨، **وليس بخاف** على بصير ما تضمنته هذه الآيات من بالغ التحريض ووافي التحفيز؛ على تحقيق هذا الخلق الجليل على النفوس البشرية؛ حتى ترقى هذه النفوس إلى

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (ج71/1).

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: (2577)، (ج4/ص1994).

المنارة للاستشارات

الأخلاق الربانية، فتترفعَ عن كل ظلم وتسمو عن كل إجحاف، قال الشوكاني مفسرا قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٢: "أي: إذا قلتم بقول في خير أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين الناس فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به"[1].

فإذا تقرر هذا البيان فلا بأس من الترسل مع كلام الشوكاني مصطحبين مَعَنَا عمومَ مقاله –الذي هو عموم الآيات قبلُ– لنسحبه على الكتابات والبحوث العلمية والمؤلفات الفكرية، فلا يسوغ اطراح رأي صواب لخلافنا مع قائله، ولا هدر مقالِ حقٍ لبعد مذهبنا عن مذهبه، فالحق أحق أن يُتْبع، وصاحب الحجة لعادمها أقْرَع.

هذا هو منهج القيام بالعدل تنظيرا وفيما يلي عرض له تطبيقا من **الكتاب والسنة:**

أما من الكتاب: فقد قال سبحانه وتعالى مقيما منهج الإنصاف حتى مع الكافرين: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾الأعراف: ٢٨، لما ادعى المشركون أن الله تعالى أمرهم بالفاحشة، رد عليهم جل جلاله قولهم لكذبهم عليه سبحانه، لكنه سكت عن نسبتهم الفاحشة لآبائهم فلم يرده عليهم؛ لأنهم ما كذبوا فيه ولا افتروا.

ولما ذكرت بلقيس –وهي على الكفر– فعلَ الملوك من إفساد وتخريب إذا هم دخلوا القرى أيدها جل جلاله لأنها فاهت بالصدق ونطقت بالحق، فقال:

[1] فتح القدير ،محمد بن علي الشوكاني، (ج202/2).

المنارة للاستشارات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۚ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ النمل: ٣٤، فجملة: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٣٤، من كلامه جل وعلا على أحد قولي المفسرين[1].

وأما من السنة: فقد جاء في سنن ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان، أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب، فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله، ثم شاء محمد"[2].

فأفاد هذا الحديث إنصاف شرعنا الحنيف؛ حتى مع أخبث الناس وأسوئهم لما قالوا كلمة الحق، فأيدهم النبي صلى الله عليه وسلم على قولهم هذا وأمر الصحابة من ساعتهم بامتثاله لا لشيء إلا لكونه حقا وصوابا.

وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فذكر الحديث –، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "صدقك وهو كذوب ذاك شيطان""[3].

[1] ينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، (ج361/3).
[2] سنن ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، برقم: (2118)، (ج1/ص685).
[3] صحيح البخاري، كتاب بدءالخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم: (3101)، (ج3/ص1194).

المنارة للاستشارات

فهذا الشيطان الرجيم أكبر المجرمين؛ والمبعد عن رحمة رب العالمين؛ يقول كلاما موافقا للحق؛ ولم يمنع نبينا صلى الله عليه وسلم عداوته لمالك يوم الدين ولخلقه المؤمنين؛ أن ينصفه ويؤيده على ما نبس به من حق وصدق.

المطلب الثالث: حث الوحيين على التجرد وعدم التعصب:

لا شك أن التعصب للآراء والأشخاص من أسوء الأمور تأثيرا على رقيِّ البحث العلمي، وكم تعثرت كثير من البحوث التي لها وزنها بسبب فقدها للتجرد والحياد؛ وتوغلها في التقليد والعصبية المقيتة؛ التي تأبطت شرا بحياتنا العلمية – الدينية والدنيوية–، ولقد جاء عدد من الآيات والأحاديث ينهى عن التعصب ويحذر منه، ويذمه ويذم المتولي له.

ولنبدأ بالآيات: قال تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠، قال ابن القيم في البدائع: "فهذه مناظرة حكاها الله بين المسلمين والكفار؛فإن الكفار لجأوا إلى تقليد الآباء وظنوا أنه منجيهم، لإحسانهم ظنهم بهم فحكم الله بينهم بقوله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠، وقال في موضع آخر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ لقمان: ٢١ و قال في آخر **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ ﴿٢٤﴾ ﴾ الزخرف: ٢٤، فأخبر عن بطلان هذه الحجة وأنها لا تنجي من عذاب الله تعالى لأنها تقليد من ليس عنده علم ولا هدى من الله"[1].

[1] بدائع الفوائد، ابن القيم، (ج4/ص173).

المنارة للاستشارات

أما الأحاديث فهي عديدة أذكر منها: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال: "دعوها، فإنها منتنة""[1].

وجاء في حديث أبي هريرة عند مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية"[2]، فهذا بيانٌ ما أجلاه وأوضحه، وقول ما أبلغه وأصرحه؛ في ذم التعصب للآراء أو الأشخاص أو القبائل، وقل ما شئت من منابع التعصب وإحداثياته، كل ذلك ممقوت في ديننا الحنيف؛ حرص ربنا جل جلاله ونبينا صلى الله عليه وسلم على تنفير الناس منه ومن أوليائه، وإن أولياءه لهم الجاهلون المعتدون.

[1] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: "إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله" الآية المنافقون:1، برقم: (4622)، (ج4/ص1861).

[2] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم: (1848)، (ج3/ص1476).

المنارة للاستشارات

الخاتمـــــــة:

بعد هذا التجوال في بساتين العلم والمعرفة نجلس لننظر ما حصّلناه من فوائد ونتائج تثري إن شاء الله هذا الموضوع وتزيده تطورا وازدهارا، وإليك سرد هذه النتائج ضمن النقاط التالية:

1/ الإسهام الفعال والنوعي لنصوص الكتاب والسنة في تنمية منهجية البحث العلمي.

2/ تنوع نصوص الكتاب والسنة وشمولها لأهم أسس المنهجية المتعارف عليها اليوم.

3/ كثرة نصوص الكتاب والسنة التي تصب في ميدان البحث العلمي.

4/ كان لنصوص الوحيين المعالجة الجدية والبارزة لكثير من التصورات والأفعال التي تعتبر من معوقات البحث العلمي.

5/ كان لنصوص الوحيين قصب السبق في بيان الأسس التي ينبغي مراعاتها في البحث العلمي تنظيرا وتطبيقا، ومن ثم اقتفى المسلمون أثر هذه الأسس وأعملوها زمنا طويلا، إلى أن خبَت نارهم، واشتعلت نار الغربيين فطوروها وزوقوها وأخرجوها للناس على أنهم هم المبتكرون لها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ ﴿١٤﴾ ﴾النمل: ١٤، فعسى أن يكشف عنا ربنا هذه البلوى، ويعيد للمسلمين المكنة والقوى، لا إله إلا هو ربي الآخرة والأولى.

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم.

1. الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، يوسف يعقوب السلطان، دط.
2. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت-، ط1(1411).
3. الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1(1400).
4. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر-بيروت-، ط1(1421).
5. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي-بيروت-، دط.
6. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط1(1403).
7. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن ابن أبي حاتم تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز-السعودية-، ط3(1419).
8. تهذيب اللغة، محمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي -بيروت-، ط1(2001).
9. جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي -بيروت-، دط(1998).

المنارة للاستشارات

10. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة-، ط2(1374).
11. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر-بيروت-، ط1(1407).
12. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت، دط.
13. سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت-، دط.
14. السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة-، دط(1414).
15. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-بيروت-، ط3(1407).
16. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-، دط.
17. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق-، ط1(1414).
18. الكافية الشافية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، مكتبة ابن تيمية- القاهرة-، ط2(1417).
19. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم، دار الشروق، ط6، (1416).
20. مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة-بيروت-، ط2(1406).
21. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-بيروت-، دط(1399).

المنارة للاستشارات

22.مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية–بيروت–، دط.
23.منهج البحث العلمي وكتابته في علوم الشريعة، محمد بازمول، دار سبيل المؤمنين–القاهرة–، ط1(1428).

المنارة للاستشارات